الشيخ محمد عراقى

حاربت الإنجليز بضراوة، وعلى مقهى فى الزقازيق قابلت ضابطا إنجليزيا علمنى الماركسية.

محمد عراقى «فى حواره معى»

فى قرية ميت القرشى مركز ميت غمر، ولد وعاش لأب فلاح شديد الفقر، ولـ «ميت القرشى» تاريخ مجيد خلال ثورة ١٩١٩ حيث خرج الأهالى ليقطعوا شريط السكة الحديد، وتصادموا مع قوات الاحتلال وسقط مائة شهيد، وتظل القرية تعيش ذكريات الشهداء وشجاعة المعركة، الآباء يحكون والأطفال يشعرون بالزهو، وتظل القرية تحكى حكاية الست صديقة، خرجت وهى عروس تقاتل مع الرجال وأصيبت بعاهة مستديمة فى ساقها، الطلق النارى فى الساق لم يوقف اندفاعها ضد الإنجليز حتى سقطت. وعلى مدى سنوات كان القسم الأكثر تصديقا هو «وحياة الست صديقة». الأم من «هرية رزنة» مسقط رأس «عرابى» وتمت له بصلة قرابة، وعندما عاد البطل من منفاه جلست تستمع إلى أحاديثه وظلت ترويها لنساء وأطفال «ميت القرشى». الأب الفلاح الشديد الفقر كان خطاط القرية وكان يحفظ ما سماه الفلاحون «سورة الفدان» وهى طريقة غامضة وسرية تستخدم لحساب قياسات الأراضى حسابا دقيقا جدا وسريعا جدا، وعمل الأب فى أكثر من حرفة ليكسب قوت الأولاد، فعمل بناء، وقبانى، وكاتبا لتجار القطن وكاتبا للعقود وأوراق شرك المواشى، الأم خياطة لجلابيب نساء القرية، وهكذا يأتى القوت وإن كان شحيحا، الأب بدأ يعلم الابن ثم أرسله إلى الكتاب، ويحكى محمد فى حواره معى «كنت ولد شاطر، سريع الحفظ وحسن الخط وحفظت القرآن كاملا وأنا فى الكُتّاب وحصلت على مكافأة خمسة جنيهات وهو مبلغ ضخم فى زمن كان أردب القمح فيه بسبعين قرشا، وأرسلنى أبى إلى الزقازيق لأدرس فى المعهد الدينى، بدل الجراية كان ١٨ قرشا فى الشهر، وعشت بها

وحدها على حافة الجوع، لكننى ظللت متفوقا< وينجح الشيخ محمد ويلتحق بالمعهد الثانوى واقترب حلم أبوه من التحقق، ولكن المظاهرات ضد الإنجليز بدأت وانغمس فيها حتى نسى المعهد ونسى كل شىء، انضم إلى الإخوان ألبسوه ملابس الجوالة، وأعطوه طبلة ليوقظ الناس لصلاة الفجر، لكنه كان يستهدف شيئا واحدا هو تنظيم المظاهرات ضد الإنجليز، لكن الإخوان لم يتحمسوا لفكرته فتركهم.

وبالمصادفة التقى على قهوة البوسفور فى الزقازيق ضابطا إنجليزيا شيوعيا وعن طريق مترجم أضاء له الضابط طريق الماركسية، وأنهى الشيخ محمد دراسته الثانوية والتحق بكلية أصول الدين بالقاهرة، وارتفع بدل الجراية إلى ٧٨ قرشا شهريا وطبعا لا يكفى، لكن الحلم الذى أشعله الجندى الإنجليزى لم يزل يغمره، وفى جلسة على قهوة بشبرا ارتفع صوته مستعيدا لزملائه بعض ما سمعه منه، واقترب منه عامل نسيج شيوعى وضمه إلى تنظيم م. ش. م وتعلق الفتى بالنضال الماركسى، ترك الدراسة المنتظمة وذاكر فى البيت، وحاول مجهده تجنيد العديد من طلاب أصول الدين حتى عرف الجميع أنه شيوعى، وفى نهاية العام الدراسى وقف فى امتحان الشفوى أمام الدكتور محمد البهى الشيخ الممتحن بادر الشيخ الشيوعى قائلا: «أنت لم تحضر أى محاضرة وأنت شيوعى ولهذا لن أسألك ولن تنجح طوال وجودى بالكلية حتى تعلن توبتك عن الشيوعية.وأمام الخيار الصعب اختار الشيخ محمد عراقى الشيوعية وأصبح محترفا ثوريا ينام فى رواق الشراقوة أو فى الجامع، ويحصل على خبزه من القراءة والمذاكرة للمكفوفين، وبهذا واصل تعليمه لأصول الدين ونضاله الشيوعى معا.

وأخيرا وجد عملا منحه فرصة الحديث عن أفكاره، فقد استعان بقليل من معرفة اللغة الإنجليزية بفضل محاوراته مع الضابط الإنجليزى، وعمل مدرسا للطلبة الأفارقة المبعوثين للأزهر، يعلمهم الفقه والماركسية معا مقابل خمسين قرشا فى الشهر للطالب واكتشفه المسئولون فطردوه.

وفى بداية ١٩٥٠ انضم إلى منظمة حدتو فانفتح أمامه باب نضال جماهيرى حقيقى سواء فى حركة السلام أو فى صفوف الفلاحين، وعقب صدور قرار حل الأحزاب فى ١٦ يناير ١٩٥٣ يلقى القبض عليه ويتنقل بين أكثر من معتقل حتى يصل إلى معتقل الطور فيفتتح هناك فصلا لمحو أمية الرفاق العمال والسجانة معا، وبعد جولة أخرى على سجون

الصعيد يفرج عنه قبيل تأميم قناة السويس فسافر إلى «ميت القرشى» ليزور أهله لكن العدوان الثلاثى فاجأ الجميع فترك الأهل إلى حيث قرر الحزب إقامة معسكر الحلمية «أبوحماد شرقية» وهناك تحدث أكثر مما يجب عن الشيوعية، سحبوا منه ومن رفاقه السلاح وأمروهم بالعودة للقاهرة، ويعود الشيخ المشاغب إلى الشغب النضالى حتى يقبض عليه فى أول يناير ١٩٥٩ وكان قد تزوج قبلها بأسابيع.. وفى الوادى الجديد زار المعتقل اللواء إسماعيل همت أمرهم بخلع ملابسهم تماما ووقف يستعرضهم فأفلتت من الشيخ ضحكة مكتومة، غضب اللواء وأمر بإحضار العروسة وجلد هذا المعتقل المشاغب، ذكريات الجلد مخيفة ففى بلدهم حكم على خفير بالجلد سبع جلدات لأن جاموسة سرقت من دركه، ومات الغفير بعد الجلدة الخامسة، لكنه قرر أن يحتمل وأن يغيظ الباشا اللواء فكان يبتسم مع كل جلدة واللواء الغاضب يصرخ «عد» ومعناها أن يبدأ عد الجلدات من جديد، وبعدها أدرك الشيخ المشاغب أن الجلد لا يقتل فواصل الشغب، وتمضى سنوات الاعتقال الخمس بعد أن تعلم فيها الشيخ الإنجليزية وبعضا من الفرنسية، ويعود الشيخ إلى ميت القرشى، الحزب يُحل حلُمه القديم يتلاشى أمام عينيه، وهو لا يجد خبزا للزوجة والأولاد، أبوه ترك له عدة أشبار من الأرض يزرعها دون قوت حقيقى ويدرس لأطفال القرية اللغة العربية والإنجليزية والغريب أنه أتقن على يد أحد المدرسين الجبر والهندسة وحساب المثلثات فصار مدرس القرية فى كل العلوم للفقراء، الدروس مجانية ومن يستطيع الدفع يدفع. ومع أول أيام منبر اليسار جاء ليضع نفسه معنا وليسهم فى بناء قاعدة فلاحية راسخة فى عديد من مناطق الدقهلية وينتخب أمينا للفلاحين فى الحزب، ويسهم فى قيام اتحاد الفلاحين تحت التأسيس، وأصبح الشيخ واحدا من أهم الكوادر الفلاحية فى مصر.. وفى انتفاضة ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ يقبض عليه، كان كل قلقه متعلقا بقوت الزوجة والأولاد، لكنه عندما يفرج عنه يكتشف أن الزوجة كانت تعيش فى رغد من العيش، القرية ردت الجميل للشيخ المناضل الذى علم أطفالها.. وكل بيت أرسل للأسرة ما يستطيع والبعض الذى يخاف عيون المخبرين كان يأتى عند الفجر ليترك أمام باب البيت جنيها ملفوفا فى قطعة قماش.. وتكاثرت الجنيهات حتى خرج الشيخ، ومرة أخرى يعتقل الشيخ فى ١٩٧٩ ثم فى ١٩٨١ ليكمل دورته على كل سجون ومعتقلات مصر، ويواصل الشيخ المشاغب المناضل المعلم الفلاح نضاله فى صفوف التجمع حتى آخر نسمات الحياة.